الحزب الاشتراكي الفرنسي والقضية الفلسطينية : نظرة تاريخية

الدكتور فيصل دراج

العالم ليس جامدا ومحكوما بقوانين سرمدية، بل خاضع وباستمرار لقوانين الحركة والتطور ، والتغير هذا لا يخضع فقط الى موضوعية القانون التاريخي بل هو مشروط ومحكوم ايضا بممارسة الانسان وحركته ، فالممارسة الثورية تسرع وتنشط التطور والحركة ، ويعني هذا على المستوى السياسي ان موقف ونظرة أية قوة سياسية الى القضية الفلسطينية لا يعتمد فقط على قانون الحركة التاريخية الموضوعية بل يعتمد ايضا على الممارسة الثورية للشعب الفلسطيني التي تدفع هذه الحركة وتسرّعها باتجاه معين .

أمر آخر يجب ان ننوه اليه ، هو سيادة المنطق الشكلي على محاكمات البعض السياسية ، وهذا يعني ان هذا البعض ينظر الى موقف القوى السياسية ازاء القضية الفلسطينية كموقف نهائي غير خاضع للتبدل او التغير ، وبالتالي فمن هو ليس معنا هو مع عدونا بالضرورة ، ويعامل بالتالي كقوة عدوة . ان هذه المحاكمة تنسى ان العالم هو عالم متحولات وليس عالم جوامد ، وانه يتغير ويتبدل محكوما بحركة النضال المتصاعدة .

كما يمكن ان نلمس حقيقة اخرى في ضوء العمل الفلسطيني في اوروبا الغربية . وتقدم الحقيقة هذه جملة معطيات . المعطى الاول ، ان العمل الفلسطيني كان محكوما بعاطفية بدائية ، فقد احتضن كل من كان يقول « فلسطين ستنتصر » دون ان ينظر الى موقع هذا المؤيد سياسيا ، ولا الى دوره الحقيقي في النضال السياسي في بلده ، ولا الى السلبيات والمعطيات الضارة الناتجة عن التعامل معه ، فالبعض كان يتعامل مع الشراذم المتطرفة موصدا بذلك الباب امام أية امكانية للتعامل مع الشيوعيين والقوى الديمقراطية الاخرى .

أما المعطى الاخر فيتجلى من خلال برغماتية فجة ، تتمثل بالتعامل والتنسيق مع القوى « الشراذم » المقتنعة مسبقا بقضيتنا ، أما القوى التي تحتاج الى حوار وايضاح فقد بقيت خارج اطار الذاكرة ، لأن العمل معها يحتاج الى بعض الجهد والمواظبة . كل ذلك جعل العمل الدعائي الفلسطيني محدود المردود لانه لم يكن يتجه الى القوى الفاعلة سياسيا والمعبرة عن الشارع السياسي ، بل اتجه فقط ــ مع بعض الشواذ ــ الى القوى السياسية الهامشية والتي تقع على تخوم وخارج الحياة السياسية الفاعلة.

ان العمل الدعائي الهادف فعلا الى مردود ايجابي ، يجب ان يتجه الى القوى الفاعلة سياسيا والحاملة في طياتها بذور المستقبل وهويته ، من هنا تأتي أهمية التركيز على الحزب الاشتراكي الفرنسي كفصيل من فصائل اليسار الفرنسي وكقوة مؤثرة على الحقل السياسي في فرنسا .